جماليات الغموض في شعر عقيل علي: دراسة في الرمز والصورة واللغة

The aesthetics of ambiguity in Akil Ali's poetry: a study in symbol, image and language

اسماء عبد الخضر علي كريم

٠٧٨٠٥١٨٣٩٤١

Fallah.mallah@gmail.com

الملخص

يُعَدّ الغموض من أبرز السمات التي وسمت الشعر العربي الحديث، حيث أصبح وسيلة فنية تفتح أفق التأويل وتمنح النص عمقًا وجمالية خاصة. ويُعَدّ الشاعر عقيل علي واحدًا من أبرز شعراء العراق الذين جعلوا من الغموض سمة ملازمة لتجربتهم الشعرية، متأثرًا بالظروف السياسية والاجتماعية القاسية التي عاشها. فقد اتخذ الغموض في نصوصه ثلاث مستويات رئيسة: غموض الرمز، غموض الصورة الشعرية، وغموض اللغة. فاستعماله للرموز جاء بانزياحات مغايرة للمتداول، مثل الوقت والأمل والموجة، حيث حمّلها دلالات غير مألوفة. أما الصور الشعرية في نصوصه فتميزت بجرأة وابتكار، مثل "عويل الشرفات" و"ثغاء القصائد"، مما يكشف عن نزعة احتجاجية وسياسية واضحة. بينما تجلى الغموض اللغوي في اقتصاده اللفظي وتكثيفه الدلالي الذي يترك للقارئ مهمة الكشف والاستكشاف. وتخلص الدراسة إلى أن الغموض لدى عقيل علي لم يكن تعقيدًا مفتعلًا، بل وسيلة فنية ووجودية للتعبير عن رؤيته للعالم، وعن قلقه واغترابه الوجودي والسياسي، وهو ما يجعل شعره تجربة غنية تستحق التوقف والقراءة المتعمقة.

الكلمات المفتاحية: (الغموض الشعري ، شعر عقيل علي ، الرمز والصورة واللغة)

Abstract

Ambiguity is one of the most prominent features of modern Arabic poetry, as it has become an artistic medium that opens the horizon of interpretation and gives the text a special depth and aesthetic. The poet Aqil Ali is one of the most prominent poets in Iraq who made ambiguity an inherent feature of their poetic experience, influenced by the harsh political and social conditions he lived through. The mystery in his texts took on three main levels: the mystery of the symbol, the mystery of the poetic image, and the mystery of the language. His use of symbols brought different shifts to the trader, such as

time, Hope and wave, as it carried unfamiliar connotations. As for the poetic images in his texts, they were distinguished by boldness and inventiveness, such as "howling balconies" and"bleating poems", revealing a pronounced protest and political tendency. While linguistic ambiguity is manifested in its verbal economy and semantic intensification, which leaves the reader with the task of disclosure and exploration. The study concludes that Akil Ali's ambiguity was not an artificial complexity, but an artistic and existential means of expressing his vision of the world, his existential and political anxiety and alienation, which makes his poetry a rich experience worth stopping and in-depth reading.

Keywords: (poetic mystery, poetry of Akil Ali, symbol, image and language)

مقدمة

إن ظاهرة الغموض من القضايا الجمالية والفكرية التي شغلت النقاد والباحثين منذ بدايات الشعر العربي الحديث. فهي ليست مجرد غاية في ذاتها، بل وسيلة فنية للتعبير عن التجربة الإنسانية العميقة. ومن هنا جاء اختيار الشاعر العراقي عقيل علي موضوعًا للدراسة، لما تميز به من حضور فني فريد، إذ ارتبطت تجربته الشعرية بظروف مأساوية عاشها العراق خلال الحروب والقمع السياسي، فانعكست هذه الظروف على لغته ورموزه وصوره الشعرية. إن الغموض في شعره ليس تعقيدًا مقصودًا، وإنما هو انعكاس لرؤيته للعالم، ووسيلة لمواجهة قسوة الواقع بالانزياح الفني. وتأتي هذه الدراسة لتسبر أغوار هذه الظاهرة عبر مستوياتها الثلاثة: غموض الرمز، غموض الصورة الشعرية، وغموض اللغة، للكشف عن جمالياتها ووظائفها الفنية والدلالية.

إشكالية البحث:

تكمن إشكالية البحث في التساؤل الآتي:

هل يمثل الغموض في شعر عقيل علي مجرد نزعة أسلوبية تنتمي إلى الحداثة الشعرية، أم أنه ضرورة وجودية فرضتها التجربة الحياتية والسياسية للشاعر، فكان وسيلته للتعبير عن القلق والاغتراب والرفض؟

أهداف البحث

١. الكشف عن مستويات الغموض في شعر عقيل علي (الرمز، الصورة، اللغة).
٢. توضيح كيفية توظيف الشاعر للغموض في خدمة تجربته الفنية والفكرية.
٣. إبراز العلاقة بين الغموض وظروف الشاعر الذاتية والموضوعية.

٤. الوقوف على جماليات الغموض بوصفه أداة فنية للتجديد الشعري.

٥. بيان أثر الغموض في خلق نص مفتوح متعدد الدلالات.

أهمية البحث

تنبع أهمية البحث من:

١. تسليطه الضوء على تجربة شاعر مهم من شعراء الحداثة العراقية وهو عقيل علي.

٢. إسهامه في توضيح دور الغموض كآلية فنية في إثراء النصوص الشعرية المعاصرة.

٣. تقديم قراءة نقدية تكشف أبعاد التوتر والاغتراب في الشعر العراقي الحديث.

٤. إظهار كيف يمكن للغموض أن يكون وسيلة جمالية للتعبير عن قضايا وجودية وسياسية.

خطة البحث المقترحة

المقدمة والتمهيد: تعريف الغموض لغةً واصطلاحًا، وأصوله في التراث الشعري.

المبحث الأول: غموض الرمز في شعر عقيل علي.

المبحث الثاني: غموض الصورة الشعرية.

المبحث الثالث: الغموض في اللغة الشعرية.

الخاتمة: أهم النتائج.

المصادر والمراجع.

التمهيد

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على أكرم الخلق أجمعين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

إن استعمال الغموض في الشعر يستدعي ان يكون الشاعر متمكناً في اللغة والتصوير واستعمال الألفاظ؛ لذا كان من المناسب أن نختار شاعراً كبيراً كعقيل علي ، الذي يتميز بطابع الغموض في شعره، وهو من متطلبات الحداثة في الشعر، حيث اختار لنفسه طريقاً خاصاً في هذا المجال مما جعله محط اهتمام الكثير من النقاد.

ولقد اقتضت طبيعة البحث أن يكون على مباحث ثلاث صغيرة اشتمل كل مبحث على مستوى من الغموض، فالأول كان في غموض الرمز، والثاني في غموض الصورة الشعرية والأخير في غموض اللغة، والمستويات الثلاثة كان تطبيقها على شعر عقيل علي، وقد سبقت تلك المباحث بمقدمة وتمهيد، وختمت بأهم النتائج التي توصل إليها البحث، فضلاً عن قائمة بالمصادر والمراجع التي رجع إليها الباحث، وقد اعتمد الباحث المنهج التحليلي الوصفي المناسب مع طبيعة البحث.

وبعد فلا أدعي الكمال بهذا البحث، فالكمال الله وحده، ولكنني سعيت ، وبذلت من الجهد ما وسعت قدرتي، فما به من إصابة فبتوفيق من الله، وما به من إخفاق فمن نفسي ، والحمد لله رب العالمين.

إن الغموض ليس ظاهرة جديدة، بل إن الشعراء القدماء قد عرفوها لاسيما في الشعر العباسي حين التقت الثقافة الشعرية العربية بثقافات الشعوب غير العربية التي دخلت الإسلام وجلبت معها ثقافتها إلى الدولة العباسية، فضلاً عن جو الاستقرار الذي عرفته الدولة العباسية مقابل جو البيئة الصحراوية وحياة الحل والترحال التي شاعت في القصيدة العربية الجاهلية واستمرت إلى العصر الأموي[١] .

وللخوض في الغموض في الشعر لابد من التعرف على مفهوم الغموض في اللغة والاصطلاح؛ ليتمكن الباحث من استقصائه في موضوع هذا البحث.

الغموض في اللغة والاصطلاح

نصت المعاجم العربية على أنه " خِلافُ الْوَاضِحِ، وَهِيَ المَغامِضُ، وَاحِدُهَا مَغْمَضٌ وَهُوَ أَشَدُّ غُرُوراً . وَقَدْ غَمَضَ المكانُ وغَمُضَ وغَمَضَ الشيءُ وغَمُضَ يَغْمُضُ غموضاً فِيهِمَا : خَفِي اللَّحْيَانِيُّ : غَمَضَ فُلَانٌ فِي الأَرض يَغْمُضُ ويَغْمِضُ غموضاً إِذا ذَهَبَ فِيهَا . وَقَالَ غَيْرُهُ : أَغْمَضَتِ الفلاة على الشخوص إذا لَمْ تَظْهَرُ فِيهَا لتغييب الآل إِيَّاها وتغيبها في غيوبها[٢] ، فالمعنى محدد بعدم الوضوح ، والتغييب و الخفاء.

---

١) ينظر : ظاهرة الغموض في الشعر العربي الحديث، محمد عبد الواحد حجازي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية ، ط١، ٢٠٠١م: ٩٧

٢) لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي الحواشي : لليازجي وجماعة من اللغويين، دار صادر – بيروت، ط ٣ – ١٤١٤ هـ : ٧/٢٠٠.

ولا يخرج المعنى الاصطلاحي للمفردة عنه في اللغة فهو يدل على الإبهام أو اللبس كما وصفه سيبويه للدلالة على الغموض الناشئ عن وجود لفظ يحتمل أكثر من معنى أو دلالة أو تركيب يؤدي إلى الغموض [١]

وكظاهرة أدبية في الشعر يكون الغموض في طبيعة تفكير الشاعر ، قبل أن يتجسد في أبيات قصيدته الشعرية، إذ ينطلق الغموض في الشعر المعاصر من محور أولي هو اللغة، بخاصة عندما يكلفها الشاعر أكثر مما تتحمل؛ فيفرض عليها مسؤولية كبيرة أكثر مما تحمل[٢] .

والغموض مبادئ يجب أن تتوافر في النتاج الأدبي ليكون غامضاً وهي[٣]:

١. أن يكون متضمنا معنى علمياً، أو خبراً تاريخيا، أو محالاً به على ذلك، أو مشاراً إليه فلا يكون الفهم إلا بمعرفة هذا المضمن العلمي أو الخبري.
٢. أن يكون المعنى قد وضعت صور التركيب الذهني في أجزائه على غير ما يجب فتنكره الأفهام لذلك.
٣. أن يكون اللفظ حوشيا أو غريبا . التقديم والتأخير في الكلام – تخالف وضع الإسناد فيصير الكلام مقلوبا .
٤. أن يكون بعض ما يشتمل عليه المعنى مظنة لانصراف الخواطر في فهمه على أنحاء من الاحتمالات.

ولا يخرج المعنى الاصطلاحي للمفردة عنه في اللغة فهو يدل على الإبهام أو اللبس كما وصفه سيبويه للدلالة على الغموض الناشئ عن وجود لفظ يحتمل أكثر من معنى أو دلالة أو تركيب يؤدي إلى الغموض[٤]

---

١) ينظر : الكتاب، أبو بشر عمرو بن عثمان سيبويه، القاهرة، ١٩٦٦: ١/٤٨

٢) ينظر : الغموض في الشعر العربي المعاصر نموذج أدونيس، فوزية وعامر زهيرة ..

٣) منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم بن محمد بن حسن ابن حازم القرطاجني، أبو الحسن، تحقيق محمد الحبيب بن خوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ٢ ٥٥

٤) ينظر : الكتاب، أبو بشر عمرو بن عثمان سيبويه، القاهرة، ١٩٦٦: ١/٤٨

وكظاهرة أدبية في الشعر يكون الغموض في طبيعة تفكير الشاعر ، قبل أن يتجسد في أبيات قصيدته الشعرية، إذ ينطلق الغموض في الشعر المعاصر من محور أولي هو اللغة، بخاصة عندما يكلفها الشاعر أكثر مما تتحمل؛ فيفرض عليها مسؤولية كبيرة أكثر مما تحمل[١] .

والغموض مبادئ يجب أن تتوافر في النتاج الأدبي ليكون غامضاً وهي[٢] :

١. أن يكون متضمنا معنى علمياً، أو خبراً تاريخيا، أو محالاً به على ذلك، أو مشاراً إليه فلا يكون الفهم إلا بمعرفة هذا المضمن العلمي أو الخبري.
٢. أن يكون المعنى قد وضعت صور التركيب الذهني في أجزائه على غير ما يجب فتنكره الأفهام لذلك.
٣. أن يكون اللفظ حوشيا أو غريبا . التقديم والتأخير في الكلام – تخالف وضع الإسناد فيصير الكلام مقلوبا .
٤. أن يكون بعض ما يشتمل عليه المعنى مظنة لانصراف الخواطر في فهمه على أنحاء من الاحتمالات.
٥. أن يكون المعنى قد اقتصر في تعريف بعض أجزائه أو تخييلها على الإشارة إليه بأوصاف تشترك فيها معه أشياء غير أنها لا توجد مجتمعة غلا فيه.
٦. أن يكون المعنى في نفسه دقيقا ويكون الغور فيه بعيداً.
٧. ان يكون المعنى مبنيا على مقدمة في الكلام قد صرف الفهم عن التفاتها بعد حيزها من حيز ما بني عليها أو تشاغله بمستأنف الكلام عن فارطه أو غير ذلك مما شأنه أن يثني غروب الأفهام.

و يبدو أن الغموض الذي يكتنف القصائد المعاصرة، قد يعود أساسًا إلى أن الشاعر يعتمد على ثقافته الخاصة، ولغته أكثر مما يعتمد على تجربته في الحياة. وهذه الثقافة غالبا ما تؤثر على ما ينظمه من

---

١) ينظر : الغموض في الشعر العربي المعاصر نموذج أدونيس، فوزية وعامر زهيرة ..

٢) منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم بن محمد بن حسن ابن حازم القرطاجني، أبو الحسن، تحقيق محمد الحبيب بن خوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ٢ ٥٥

الشعر، كما تلعب دورًا رئيسيًا وأساسيا في إكساب النص الشعري، حالة من الغموض الممتع والمؤثر ليكسب التجديد في أعماله[١] .

فبالنتيجة إن الغموض الأدبي في الشعر هو من الأشياء التي تضفي جمالاً على النص وتدعو المتلقي للاكتشاف والتقصي للمعاني في النص الشعري، على أن لا يكون مربكاً للمتلقي ويحول دون استيعابه و قرائته؛ فيفقد جماليته وتأثيره، وهذا ما سنلحظه في هذه الدراسة المتواضعة في شعر عقيل علي.

نبذة عن الشاعر :

ولد الشاعر عقيل علي عام ١٩٤٩ في الناصرية، عاش حياة صعبه بين التسكع والعمل ومنذ سن مبكرة وهو يوزع وقته بين الكتابة الشعرية والأعمال اليدوية، ومن أعماله الشعرية (جنائن آدم)، و (طائر آخر يتوارى)، وغيرها[٢] .

و كان معتدا بنفسه، صمته المتكبر المشفوع بممارساته الشعرية للحياة، لقد حول مشاعره المتألمة الى واقع مشع من القوة والايمان الشعري بالقصيدة ذات الوصف الجراح العراق وسنوات الحروب والقمع من السلطات، وأمام سياسة التبعيث القشرية والحياة التي أصبحت صعبة ومملة ومقرفه والعهر السياسي بدأ يطفح على السطح في كافة المجالات، وأبناء الشعب يقارعون الذئاب البشرية، وصرخاتهم تملأ السماء صموداً وتحدياً[٣] .

المبحث الأول : غموض الرمز في شعر عقيل علي

يعد الرمز علامة ؛ لأنه يرتبط ارتباطاً تلازمياً بمعنى ما، ويحيل إليه، كالقمر للجمال والافعى للغدر وما إلى ذلك، فالغموض الذي يكون في الرمز هو بمثابة علامة العلامة، أي * العلامة التي تنتج قصد النيابة عن علامة أخرى مرادفة لها[٤] .

---

١) ينظر : الغموض في الشعر الفلسطيني بعد عام ١٩٨٧ ، سماح أحمد حلمي سليم : ٣٧.

٢) ينظر: طائر آخر بتوارى عقيل علي منشورات الشتات، باريس ، ١٩٩٢م: مقدمة الكتاب.

٣) ينظر : علي عقيل ومأساة شاعر نبيل عبد الأمير الربيعي (مقال)، مجلة الحوار المتمدن، محور الأدب والفن، عدد https://www.ahewar.org/debat/nr.asp

٤) نظريات في النقد المعاصر، حبيب مونسي منشورات دار الأديب، وهران – الجزائر، ٢٠٠٧م: ١٠٠.

ومن أسباب غموض الشعر الحديث أن توظيف الرمز لم يعد ذلك التوظيف القديم المتعارف عليه، فالليل رمز الهموم، والبدر رمز الجمال، ولكنه أصبح مرهونا بثقافة القارئ وتأويلاته، وبعد المبدعون الغموض مسعى جميلاً يذهبون إليه في نتاجاتهم، " والرمزيون لا يسمون الشيء في وضوح لأن في ذلك قضاء على ما فيه من متعة إلا أن صفة الغموض لا تكون مبهمة ، بل هناك ما يدل عليها ، ويكره الرمزيون اللجوء إلى اللهجة الخطابية لأن اللهجة الخطابية لا تساعد على التعمق في تصوير المعاين الكامنة في خفايا النفس[١] .

ومع ذلك فإن استعمال الرموز ليس لعبة، ولا تعني أنها ألغازاً أو أحاجي ، فمن المعيب لدى النقاد إثقال النص بالرموز التي لا تعني الإثارة والانسجام [٢].

وبالنسبة إلى شاعرنا عقيل علي فتصفه الكاتبة مسار حميد بأنه " صانع الغموض والعزلة المثيرة للأسئلة. انطلقت تجربته الشعرية من فضاءات التجديد الشعري في السبعينيات وقد تلمس طريقه بهوس البحث عن مساره الخاص، مسار ما يمكن أن تصنعه رؤيته الشعرية [٣]. ومن أمثلة غموض الرمز في شعره، قوله في قصيدة (الوقت)[٤]:

كل شيء استوائي تحت النظر

كل شيء يبتدئ من أجل الصباح

الوهم

وعقود الزينة

صقيع الستائر

وذلك السبات الذي حولنا يطوف

والوجوه تتحسس بدائيتها

---

١) قضايا النقد الحديث، محمد صايل حمدان، دار الأمل للنشر والتوزيع، أربد –الأردن، ط١، ١٩٩١م: ٥٧

٢) ينظر : دراسات نقدية في الأدب الحديث، عزيز السيد جاسم الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٥م: ١١٧.

٣) عقيل علي ناقوس الأوقات المنحنية ، مسار حميد الناصري (مقال) تطبيق نخيل عراقي، ٢٠٢٣م، www.iraqpalm.com.

٤) جنائن آدم وقصائد أخرى ، عقيل علي، منشورات الجمل، بغداد بيروت، ط١، ٢٠٠٩م : ٢٣.

حين تقعي

أعزل

حتى من الوقت.

يتأتى الغموض في هذه القصيدة من حيث رمزية الوقت، فمن المعروف في الشعر أن الوقت يرمز إلى علاقة الذات بالعالم والزمن، وقد تأتي للتعبير عن المال ، أو العمر، ولكن عقيل علي .. هنا .. يبدأ قصيدته وكأن الوقت هو الزمن في قوله: (كل شيء يبتدئ من أجل الصباح)، ولكن الغموض يكمن في جعل الوقت سلاح بدليل قوله في الخاتمة (أعزل حتى من الوقت) ، وكذلك في لفظة (السبات) التي تذهب بالمتلقي إلى معنى الهدوء والسكون والنوم ، وفي القصيدة انزاح هذا المعنى حينما أسند فعل الطواف إلى السبات وذلك السبات الذي حولنا يطوف، فصار يدل على الحركة ، فهذا الغموض قد جعل من النص أكثر متعة للمتلقي؛ حيث يبقي ذهنه متيقظاً؛ لاكتشاف هذا الغموض.

وفي قصيدة (الموجة)[١] :

موجة تتأمل دموعها في مرآة

وأنا أحنو عليها

أحنو على أهوائها

تسأل

عن بحر

عن شمس

موجة تتأمل وحدتها في مرآة.

إن الموجة هي دلالة على الصخب والثورة والغضب، ولكن شاعرنا استعمل رمزيتها في معنى آخر ، حيث صورها منكسرة، ووحيدة موجة تتأمل دموعها في مرآة، وربما اختار رمز الموجة بالذات ليوصل للمتلقي ، أن هذا الانكسار الذي هي فيه جاء من بعد قوة؛ بسبب وحدتها فهي تبحث عن بحر

١) جنائن آدم وقصائد أخرى : ٨٥.

، وعن شمس، دلالة على أنها محبوسة في مكان ما ووحيدة، وهذا يأخذنا إلى اكتشاف هذا الغموض في استعمال الرمز لنجده يعني حبس الحريات، والثورات.

ومن قصيدة (الدنو عدواً) [١](١) يقول عقيل علي:

بإجلال، أكتم ما قد بدأت

هازئاً بلا انزعاج

وأرتكب زلة الأمل ثانية.

لا يخفى على أحد أن الأمل رمز للخير، والتفاؤل، والحياة، وفي هذه القصيدة يصور لنا الشاعر بأن الأمل هو ذنب ، و زلة يرتكبها الإنسان إذا تفاءل، وبهذا نقل رمزيتها إلى معنى آخر، محققا بذلك انزياحاً ملفتاً، يشد المتلقي به ليكتشف غموضه.

المبحث الثاني : غموض الصورة الشعرية

ويعني الغموض هنا استعمال الصورة بطريقة مخالفة للمألوف العربي، والصورة هي ما يفتح للشاعر الأفق في التعبير وتطلق خياله من خلالها، " والصورة في الشعر الجديد تعتمد على عقلية مختلفة عقلية إنسان العصر الحديث الذي كان بتفوق العلم واختلاف الثقافات تأثيره الواضح على ذهنيته" [٢].

ولم تعد الصورة مجرد محاكاة للواقع او الخيال، وإنما صارت تركيباً أكثر تعقيداً، أو هي مسرح للتناقضات التي تقوم على دلالات وأشياء مختلفة[٣]

ومن أمثلة ذلك في شعر عقيل علي قوله في قصيدة (اسمع)[٤] :

اسمع يا حبيبي بعثرة المفاتيح في الصحراء

اسمع عويل الشرفات

---

١) جنائن آدم وقصائد أخرى : ٢٢٥.

٢) دراسات في النقد الأدبي المعاصر، محمد زكي العشماوي، طبعة دار الشروق الأولى، القاهرة، ١٩٩٤م: ١٢٩.

٣) ينظر: الغموض في الشعر العربي الحديث، إبراهيم رماني ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ، ١٩٩١م : ٢٥٨.

٤) جنائن آدم وقصائد أخرى : ٢٤.

ثغاء القصائد

اسمع استنجاد الشفاه

وتلويح الحقول بدماء بكارتها

اسمع نحيب الاشباح

وذلك الشاطئ الوحيد يتسول صبواته

اسمع الصحو في قميصي

وأصباح الأمهات

اسمع

اسمع

أسرابا من العصافير ترتجف

إن هذه القصيدة مليئة بالصور الشعرية الغامضة، التي هي مخالفة للصور المعتادة في الشعر كـــ (اسمع عويل الشرفات) ، و (ثغاء القصائد)، فلم يعتد المتلقي على صورة شعرية تجعله يتخيل كيفية عويل الشرفات، ولكن الشاعر أبدع في ذلك باستعماله الاستعارة بطريقة فيها انزياح عن المألوف، فاستعارة العويل للشرفات يفتح الخيال للمتلقي لاستحضار الصورة التي يريدها الشاعر، وكذلك استعارة الثغاء للقصائد، فلأول وهلة نستغرب هذا الوصف ، فهل القصائد شياه لها ثغاء، ولكن بتفحص النص وهذه الصورة الغريبة نجد أن غرض القصيدة السياسي وبراعة الشاعر قد انتج لنا هذه الصورة الشعرية الغامضة البديعة التي تخلق لدينا كمتلقين روح المواصلة في النص، وتذوق هذا الجمال بطريقة مختلفة عن المألوف وضعها المبدع.

وكذا الحال في صورة (وتلويح الحقول بدماء بكارتها)، (واسمع نحيب الاشباح)، و(وذلك الشاطئ الوحيد يتسول صبواته) ، وغيرها في باقي القصيدة.

وفي قصيدة أخرى [١]:

---

١) جنائن آدم وقصائد أخرى : ٦٤-٦٥.

قل وداعاً

للجدول

للمطر الماشي في الأثر

قل: سمائي ستفلت مني.

فالشاعر هنا يخبرنا وكأن الحياة انتهت حيث يودع الجدول والمطر، وقد صور لنا ذلك بطريقة خارجة عن المألوف (قل: سمائي ستفلت مني)، إن المتلقي في هذه الصورة سيذهب بخياله لتصور هذا المشهد الغريب ، فقد جعل الشاعر سماءه بيده معبراً عنها بأنها ستفلت من يده؛ ليخبرنا بشدة الموقف وإنه قد وصل إلى أقصى حالات التحمل، وقد خارت قواه وستفلت تلك السماء من يده، وبهذه الصورة نقل لنا صورة التعب وفقدان الأمل في لحظاته الأخيرة بهذا التعبير الرائع.

ونجد الغموض في الصورة كذلك في قول الشاعر [١]:

الفم المطبق يناديك أيها الزمن الذي هنا

أيها الزمن الذي هناك.

فلنا أن نتخيل هنا كيف للفم المطبق أن يتكلم، بل وينادي ، والمنادى هنا هو الزمن الذي هنا وفي الوقت نفسه الزمن الذي هناك، وكأن الزمن قد انقسم إلى قسمين وتجسد في مكانين ، وهذه دلالة على الاضطهاد وعدم التعبير عن الرأي ، ورغم ذلك ، ورغم المنع وطبق الأفواه لكنها تصدر صوتها وتنادي الزمن الذي تشتت بهذا الواقع المرّ، وهذا انزياح وخروج عن المألوف في وصف الصورة الشعرية .

المبحث الثالث : الغموض في اللغة الشعرية

النص الشعري يمثل تشكلاً دلاليا جديداً وانزياحاً للغة، فالشعر يهدم اللغة ليعيد بناءها ومن هنا ذهب جون كوهين إلى أن الانزياح شرط أساسي وضروري في النص الشعري شرط أن لا يكون غاية في

---

١) طائر آخر يتوارى عقيل علي : ٨٣

ذاته وإنما وسيلة الشاعر إلى خلق لغة شعرية [١] ، وليس المقصود هنا لغة التخاطب اليومي بين عامة الناس، وإنما ما ألفه الناس تربية أذواقهم ونشأ عليه ، ويتأتى الغموض عندما ينزلق الشاعر إلى استعمال تعبيرات لا توحي بشيء فتحجب جوهر المعنى وبالنظر إلى الشعر فهو تجربة أساسها اللغة[٢].

واللغة تخلقها التجربة الشعرية والحالة الشعورية للشاعر ، فيستعملها وينفي عنها معانيها العادية ويكسبها معان وقيم جديدة [٣]. والشاعر يكون بحاجة إلى العمق أكثر من التفصيل ، فكلما قلت التفصيلات زاد الغموض، مما يزيد عظمة اللفظ وكن قوياً أكثر [٤].

وفي شعر عقيل نجد أمثلة ذلك كثيرة منها قوله[٥]:

ربما أجعل من أحلامي محطات

أذهب إليها

وعلى كتفي جهات أربع.

إن أغلب شعر عقيل علي يتميز بغموض اللغة والتشويق وقلة التفاصيل التي تدفع المتلقي الى الاستكشاف، وهذا ما نجده في النص أعلاه حيث أن اللغة تتميز بالغموض وقلة التفاصيل وهو لم يقل سوى ثلاثة أسطر في هذه الومضة ولكنها تحمل فكرة عميقة يرمي إليها الشاعر ، باختصار وقوة واضحة، ولنا ان نتخيل المعنى بحسب ما نفهمه من إشاراته القليلة تلك.

وفي قصيدة (ذاكرة الحجر)[٦]:

---

١) ينظر : ظاهرة الغموض في شعر فدوى طوقان، حميش نورية رسالة ماجستير ، كلية الآداب واللغات، الجزائر، ٢٠١٩ م .٥٧.

٢) ينظر : الغموض في الشعر العربي الحديث : ١٦٥.

٣) ينظر : الأسس الجمالية في النقد العربي، عرض وتفسير ومقارنة، عز الدين اسماعيل، دار الفكر العربي، ١٩٩٢م: ٢٩٧

٤) ينظر : نفسه: ٢٩٨

٥) جنائن آدم وقصائد أخرى : ٦٦.

٦) طائر آخر يتوارى: ٢٧

المدن تذهب، وتروح أيتها الأحجار الساقطة من يد الممرات، أيتها الأحجار.

هي تماثيل مقتولة

أتأملها بصياح مكتوم، ولا أضجر من لصوصها

إنهم بصبر يديرون رحاها وقد مزقوا فجراً أو شردوا أشجاراً.

لا شك أن مغزى القصيدة سياسي وتحكي عن واقع أليم ، وقد عبر الشاعر عن ذلك بلغة عالية تتميز بالغموض ، إذ تفتقر إلى التفاصيل وكأنه يتكلم عن فئة محددة بصيغة الغائب وكذلك وصف التماثيل بالمقتولة، والتأمل بصياح مكتوم، وغيرها من تناقضات ومبهمات في النص مما يجعل النص رائعا بغموض لغته وتميزها.

ومما تقدم نجد أن الغموض في اللغة والصورة والرمز متعلق بعضها ببعض ، وترجع قوتها و جودتها إلى مهارة الشاعر في اللغة والتصوير والوصف، حيث لا يبتذل فيجعل المتلقي يترك النص، ولا يزيد بغموضه إلى درجة ان المتلقي لا يفهم النص، بل يكون متوازنا محققا بذلك الجمال والقوة والشاعرية وإثارة الفضول لاكتشاف النص ودلالته.

الخاتمة

١. يتميز شعر عقيل علي بالغموض الإيجابي الذي يجعل المتلقي متيقظ الذهن لاكتشاف النص، وتفاصيله.
٢. كان الغموض في الرمز في شعر عقيل علي ذا طابع مميزا في اختياره لتلك الرموز وكيفية استعمالها بما يتناسب والغرض الذي يريده في قصيدة ما.
٣. لقد استعمل الشاعر صوراً شعرية فيها انزياحاً مميزاً، وخارجاً عن المألوف مما جعل النصوص مميزة وتجذب المتلقي للفحص والتأمل فيها.
٤. أما اللغة الغامضة التي ميزت شعر الشاعر عموماً، فهي جاءت من شخصية الشاعر ولغته المميزة اولاً، والمواقف التي يقول فيها الشاعر قصيدته فتستعي ان تكون على هذا المستوى من اللغة ، بلا ابتذال، ولا تفاصيل تقلل من قيمة النص.
٥. إن الغموض على المستويات الثلاثة له الأثر الواضح في دلالة النص .
٦. تتداخل المستويات فيما بينها لتقوي النص ، حيث أن بعضها معتمد على بعض.

المصادر والمراجع

١. الأسس الجمالية في النقد العربي، عرض وتفسير ومقارنة، عز الدين اسماعيل، دار الفكر العربي، ١٩٩٢م.

٢. جنائن آدم وقصائد أخرى ، عقيل علي منشورات الجمل، بغداد – بيروت، ط١، ٢٠٠٩م.

٣. دراسات في النقد الأدبي المعاصر ، محمد زكي العشماوي، طبعة دار الشروق الأولى، القاهرة، ١٩٩٤م.

٤. دراسات نقدية في الأدب الحديث عزيز السيد جاسم الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٥م.

٥. طائر آخر يتوارى عقيل علي منشورات الشتات، باريس ، ١٩٩٢م.

٦. ظاهرة الغموض في الشعر العربي الحديث، محمد عبد الواحد حجازي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية، ط ١ ، ٢٠٠١م.

٧. ظاهرة الغموض في شعر فدوى طوقان، حميش نورية رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغات، الجزائر، ٢٠١٩م.

٨. عقيل علي ناقوس الأوقات المنحنية ، مسار حميد الناصري، (مقال)، تطبيق نخيل عراقي، ٢٠٢٣م www.iraqpalm.com.

٩. علي عقيل ومأساة شاعر نبيل عبد الأمير الربيعي (مقال)، مجلة الحوار المتمدن محور الأدب والفن، عدد ٣٢٨٨، ٢٠١١م

١٠. الغموض في الشعر العربي الحديث، إبراهيم رماني ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ، ١٩٩١م .

١١. الغموض في الشعر العربي المعاصر نموذج أدونيس، فوزية وعامر زهيرة.

١٢. الغموض في الشعر الفلسطيني بعد عام ١٩٨٧ ، سماح أحمد حلمي سليم.

١٣. الكتاب، أبو بشر عمرو بن عثمان سيبويه، القاهرة، ١٩٦٦م.

١٤. لسان العرب محمد بن مكرم بن على أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي ، الحواشي : لليازجي وجماعة من اللغويين، دار صادر – بيروت، ط٣ ١٤١٤ هـ.

١٥. منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم بن محمد بن حسن ابن حازم القرطاجني، أبو الحسن تحقيق محمد الحبيب بن خوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ٢.

١٦. نظريات في النقد المعاصر، حبيب مونسي منشورات دار الأديب، وهران – الجزائر ، ٢٠٠٧م. قضايا النقد الحديث، محمد صايل حمدان، دار الأمل للنشر والتوزيع أربد –الأردن، ط ١، ١٩٩١م .